الدَّرسُ الثَّالث (3)

دلالة أصل اللَّفظ واشتقاقه وأثرها في اختلاف المُفسِّرين

المسألةُ الأولى: معنى الإِشتقاق وأصلِ اللَّفظ

– الاشتقاق سنة من سنن العرب في كلامها، قال ابن فارس رحمه الله (ت:392هـ): «أجمع أهل اللغة – إلا من شذ عنهم – أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم (الجنِّ) مشتق من الاجتنان. وأن (الجيم والنون) تدُلاَّن أبداً عَلَى السَّتْر. تقول العرب للدّرع: جُنَّة، وأجَنَّه الليلُ، وهذا جنين، أي هو فِي بطن أمّه أَوْ مقبور. وأن الإنس من الظهور؛ يقولون: آنَسْت الشيء: أبصرته.

وَعَلَى هَذَا سائرُ كلام العَرَب؛ عَلم ذَلِكَ من عَلِم، وجَهِلَه من جهل»[1].

– ومعناه في اصطلاحهم: «اقتطاع فرع من أصل يَدُور فِي تصاريفه حُرُوف ذَلِك الأَصْل.

وَقيل: هُوَ أَخذ كلمة من أُخْرَى بتغيير مَا، مَعَ التناسب فِي الْمَعْنى.

وَقيل: هُوَ رد كلمة إِلَى أُخْرَى لتناسبهما فِي اللَّفْظ وَالْمعْنَى.

وَهُوَ من أصل خَواص كَلَام الْعَرَب، فَإِنَّهُم أطبقوا على أَن التَّفْرِقَة بَين اللَّفْظ الْعَرَبِيّ والعجمي بِصِحَّة الِاشْتِقَاق»[2].

– وأصل اللفظ هو المادَّة الأصلية التي تدور عليها تصاريف الكلمة؛ فالمادَّة بمثابة النُّقرة من الفضة[3]، والأبنية (الصيغ) بمثابة الأوعية التي تتشكل بها تلك المادة الأولية. قال السُّيوطيُّ رحمه الله (ت:911هـ): «وطريقُ معرفته؛ تقليبُ تصاريفِ الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة؛ هي أصل الصيغ دلالة اطراد أو حروفا غالبا كـ(ضَرْب) فإنه دال على مُطلق الضرب فقط، أما (ضَارب ومضْرُوب ويَضْرب واضْرِب)؛ فكلُّها أكثرُ دلالة وأكثر حروفا، و(ضَرَبَ) الماضي مساوٍ حروفا وأكثرُ دلالة، وكلها مشتركة في (ض ر ب)، وفي هيئة تركيبها، وهذا هو الاشتقاق الأصْغر المحتجُّ به»[4].

---

[1] ابن فارس، الصاحبي، ص35-36.

[2] أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص117.

[3] أي الفِضَّةِ السَّائلة المذابةِ.

[4] السيوطيُّ، المزهر في علوم اللغة، ج1، ص275.

فالاشتقاقُ عَوْدٌ باللَّفظِ إلى أصلِه لِيُنْبِئَ عن معناه، وبما أنه مفيدٌ في معرفةِ أصلِ الكلمةِ، فإنه يفيدُ كذلك في معرفةِ سبب الاختلاف بين بعضِ التَّفاسيرِ اللُّغويَّة[1]، وبيانُ ذلك في المسألةِ الثَّانية.

المسألة الثَّانية: أمثلةٌ عن أثرِ معرفةِ أصلِ اللَّفظِ واشتقاقه في اختلافِ المُفَسِّرين

لمعرفة الاشتقاق أثر كبير في اختلاف المفسرين؛ إذ قد تُفسَّرُ آيةٌ على نحو ما بناءً على كون اشتقاق لفظة فيها هو كذا، فيما يفسرها مفسر آخر تفسيرًا مُغايرا بسبب أنه حملها على اشتقاق مختلف، ومن أمثلة هذا:

1- كلمة (**حَصيرًا**) من قول الله ﷻ: ﴿**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا**﴾[الإسراء:8]، إذ اختلفَ فيها أهل اللُّغةِ وأهلُ التَّفسيرِ – تبعًا للاِختلاف في أصل اشتقاقها – على قولين: الأول؛ (حصيرٌ) بمعنى سجنٌ ومحبِسٌ، والآخرُ؛ (حصيرٌ) بمعنى فراشٌ ومِهادٌ.

– أمَّا مَن قال: (حصيرٌ) بمعنى سِجنٌ ومَحبسٌ؛ فقد جعلها (فعيلاً بمعنى فاعلٍ)؛ أي حاصرًا، «ويقال للسجْن الحصير لأنَّ الناس يُحصرون فيه، ويقال حصرت الرجلَ إذا حبسته، وأحصره المرض إذا منعه من السير»[2]. قال ابنُ قُتيبةَ رحمه الله (ت:276هـ): «(وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) أي مَحْبِسًا؛ من حَصَرْتُ الشيء: إذا حبسته، فَعِيل بمعنى فاعل»[3]. ومنه: الحَصَرُ في الكلام إذا احتبس عليه وأعياه، والرجل الحصور عن النساء المحبوسُ عنهنَّ، وحَصَرُ الغائط احتباسُه وإمساكُه[4].

– وأمَّا مَنْ قال: (حصيرٌ) بمعنى فراشٌ ومهادٌ؛ فجعلَها (فعيلاً بمعنى مفعولٍ)؛ أي محصور، ومعنى المحصورِ: المنسوج؛ سُمِّي حَصِيرا لِأَنَّهُ حُصِرَت طاقاتُه بعضُها مَعَ بعض. والجَنبُ يُقَال لَهُ الْحَصِير، لِأَن بعض الأضلاع مَحْصورٌ مَعَ بعض[5].

– وتفسيرُ الآية لا يتناقضُ على المعنيين جميعًا؛ فعلى رأي من حملها على (السجن) يكون المعنى: وجعلنا جهنم للكافرين سجنًا ومحبسًا، وهو معنًى صحيحٌ. وعلى رأي مَن حملها على (الفراش والمهاد) يكونُ

[1] يُنظر: الطيَّار، التفسير اللغوي، ص484.

[2] الزجاج، معاني القرآن وإعرابُه، ج1، ص407.

[3] ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص251.

[4] يُنظر: الثعلبي، الكشف والبيان، ج6، ص86.

[5] يُنظرُ: الأزهري، تهذيب اللغة، ج4، ص137.

المعنى: وجعلنا جهنم للكافرين فراشًا ومهادًا، وهو معنًى صحيحٌ كذلك، لذلك نجدُ تقريرهما مُجتمعين عند كثيرٍ من أهل التفسير وأهل اللغة.

قال ابنُ جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): «اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: وجعلنا جهنم للكافرين سجنا يسجنون فيها. [...]وقال آخرون: معناه: وجعلنا جهنم للكافرين فراشا ومهادا [...] قال الحسن: الحصير: فِراش ومِهاد، وذهب الحسن بقوله هذا إلى أن الحصير في هذا الموضع عني به الحصير الذي يُبْسط ويفترش، وذلك أن العرب تسمي البساط الصغير حصيرا، فوجَّه الحسن معنى الكلام إلى أن الله تعالى جعل جهنم للكافرين به بساطا ومهادا، كما قال (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) وهو وجه حسن وتأويل صحيح، وأما الآخرون، فوجهوه إلى أنه فعيل من الحصر الذي هو الحبس»[1].

وقال الأزهريُّ رحمه الله (ت:370هـ): «وَقَالَ اللَّيْث فِي قَوْله جَلَّ وَعَزَّ: (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) يُفَسَّر على وَجْهَيْن: على أَنهم يحصرون فِيهَا. قَالَ: وحَصِيرُ الأَرْض: وجْهُهَا. قَالَ: والحَصِيرُ: سَفِيفَةٌ من بَرْدِيٍّ أَو أَسَلٍ»[2].

2- كلمة (**مثاني**) من قول الله ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾[الحِجر:87]، وقد اختُلِف فيها كذلك على اعتبارِ أصل اشتقاقها على قولين: الأوَّلُ؛ (المثاني) من الثَّنِي والتَّثنية، بمعنى الإعادة والتَّكرير. والآخر؛ (المثاني) من الثَّناءِ، بمعنى الحمدِ والشُّكر.

– أمَّا مَن قال: (المثاني) من الثَّنِي والتَّثنية، بمعنى الإعادة والتَّكريرِ؛ فلأنَّ الفاتحة تعادُ وتُكرَّرُ في كلِّ ركعةٍ من الفرائض والنَّوافل، ويُثنَّى بها مع كلِّ ما يُقرَأُ من القُرآن. قال ابنُ جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): «وهم أيضا [يعني أهل التفسير] مختلفون في معنى المثاني، فقال بعضهم: إنما سُمِّين (مثانيَ) لأنهن يثنين في كلِّ ركعة من الصلاة»[3]. وفي معنى التَّكرير كذلك تندرجُ كلمة (مثاني) من قول الله ﷻ: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ**﴾[الزمر:23]، أي تُثنى فيه الأوامر والنواهي والأنباء والقَصَصُ، أي تُعادُ وتُكرَّرُ[4].

[1] ابن جرير، جامع البيان، ج17، ص390-391. ويُنظر كذلك: السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص302-303. و: الثعلبي، الكشف والبيان، ج6، ص86.

[2] الأزهري، تهذيب اللغة، ج4، ص137.

[3] ابن جرير، جامع البيان، ج17، ص132.

[4] يُنظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ج15، ص100.

– وأمَّا مَنْ قال: (المثاني) من الثَّناء، بمعنى المدحِ والثَّناءِ؛ واحدتُها مَثْناةٌ، أي المحامدُ، والْمَعْنى: وَلَقَد آتيناك سبع آيَات من جُملة الْآيَات الَّتِي يُثنَى بهَا على الله، وآتيناك الْقُرْآن الْعَظِيم[1]. «وقيل: لأنها متصدرة بالحمد، والحمد أوَّلُ كلمة تكلم بها آدم حين عطس، وهي آخر كلام أهل الجنة من ذريته، قال الله: (وَآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ)»[2].

– وهذا الاختلاف في اشتقاق (المثاني) – كما ترى –، لا يحملُ على شيءٍ من التَّناقُضِ في معنى الآية؛ إذ سُورةُ الفاتحة ممَّا يثنى ويُكرر في الصلوات، ومعانيها ممَّا يكرر ويعادُ في سائر القرآن، وهي كذلك من جُملة ما يُثنى بها على اللهِ ﷻ ويُحمدُ به؛ فهي سورة الحمد. ولذلك نجدُ أهل اللغة وأهل التفسير ينصُّون على المعنيين.

– قال الزَّجَّاجُ رحمه الله (ت:311هـ): «وقوله: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)؛ قيل: السبعِ من المثاني هي فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات، وإنما قيل لها المثاني لأنها:

يُثَنَّى بِها في كل ركعة من ركعات الصلاة، ويثنى بها مع مَا يُقْرأ من القرآن.

ويجوز – واللَّه أعلم – أن يكون من (المثاني)؛ أي مما أُثْنِيَ به على اللَّه، لأن فيها حَمْدَ اللَّه، وتَوْحِيدَه وذِكرَ مَلَائكته، ومُلكَه يومَ الدِّينِ»[3].

وقال السَّمرقنديُّ رحمه الله (ت:373هـ): «وقال قتادة: السبع المثاني هي فاتحة الكتاب، تثنى في كل ركعة مكتوبة أو تطوع، يعني: في كل صلاة. ويقال: مِنَ الْمَثانِي أي؛ مما أثني به على الله تعالى، لأن فيها حمدَ الله تعالى وتوحيده»[4].

---

[1] يُنظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ج15، ص100.

[2] الثعلبي، الكشف والبيان، ج5، ص350.

[3] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص185.

[4] السمرقنديُّ، بحر العلوم، ج2، ص262. ويُنظرُ في كلمة (المثاني) كذلك: الثعلبي، الكشف والبيان، ص250 وما بعدها؛ فإنَّهُ ذكر أقوالاً أخرى في اشتقاقها، وهي جديرةٌ بالدراسة، ولكنَّا نكتفي بالإشارةِ إليها هنا، اجتنابًا للتَّطويل، ومنها:

– أنَّها مُشتقَّةٌ من كلمة (اثنين)؛ لأن الله ﷻ في الحديث القدسي قال: (قسمتُ الصلاة [يعني الفاتحة] بيني وبين عبدي نصفين..)

– أنها من (الثَّنيِ) بمعنى الرَّدِّ؛ لأنَّها تردُّ أهل الشَّر عن شرِّهم وتكفُّهم

– أنَّها من (الاستثناء)؛ بمعنى أن الله ﷻ استثنى الأمم من قبلنا من إعطائها، وخصَّ هذه الأمَّةَ بإعطائهم إيَّاها.

3- كلمة (عِضِين) من قول الله ﷻ: ﴿**كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ**﴾[الحِجر:90-91]، فإنَّهم اختلفوا في تفسيرِها استنادًا إلى اختلافهم في اشتقاقها على قولين: الأوَّل؛ أنَّها من (العُضْوِ والتَّعضية) بمعنى التَّفريق، والآخرُ؛ أنَّها من (العَضْهِ أو العِضْهِ) بمعنى السِّحر.

– أمَّا مَن قال: إنَّ (عِضِينَ) من (العُضو والتَّعضيةِ)؛ فعلى معنى: عَضَّوْهُ أي فَرَّقُوهُ، كما تُعضَّى الشاة والجَزور؛ أيْ تُقسمُ وتُفرَّقُ أعضاؤها. وواحدة الْعِضِين عِضَةٌ، رفعها عِضُون ونصبها وخفضها عِضِين[1].

ومعنى (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) على ذلك: فرَّقوه وعَضَّوْهُ؛ أي: فرَّقُوا القول فيه؛ فقال بعضُهم: شعر، وقال آخرون: سِحر، وقالوا: كهانة، وقالوا: أساطير الأولين[2]. «عن عطاء (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) قال: المشركون من قريش، عضَّوُا القرآن فجعلوه أجزاء، فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: مجنون، فذلك العِضُون»[3].

– وأمَّا مَن قال: إنَّ (عِضِين) من (العَضه أو العِضه)؛ فلأنَّ (العضهَ) في لُغة قريش (السِّحر). قال ابن جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): « وقد قال جماعة من أهل التأويل: إنه إنما عَنَى بالعَضْه في هذا الموضع، نسبتهم إياه إلى أنه سِحْر خاصة دون غيره من معاني الذمّ، [...] عن قتادة قال: كان عكرمة يقول: العَضْهُ: السحر بلسان قريش، تقول للساحرة: إنها العاضهة»[4].

ومعنى الآية على القولين جميعًا متقاربٌ؛ إلاَّ أنَّ القول الثَّاني كأنَّهُ جزءٌ من الأوَّل، ولذلك قال ابنُ جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): «فالصحيح من القول في معنى قوله (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) الذين زعموا أنهم عَضَهوه، فقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو كهانة، وما أشبه ذلك من القول، أو عَضَّهُوه ففرقوه، بنحو ذلك من القول، وإذا كان ذلك معناه احتمل قوله عِضِين، أن يكون جمع: عِضة، واحتمل أن يكون جمع عُضْو، لأن معنى التعضية: التفريق، كما تُعَضى الجَزُور والشاة، فتفرق أعضاء. والعَضْه: البَهْت، ورميه بالباطل من القول، فهما متقاربان في المعنى»[5].

---

[1] يُنظر: الفراء، معاني القرآن، ج2، ص92.

[2] يُنظر: ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص239.

[3] ابن جرير، جامع البيان، ج17، ص146.

[4] المصدر نفسه، ج17، ص148.

[5] المصدر نفسه، ج17، ص149.

4- كلمة (**صَلصالٍ**) من قول الله ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**﴾[الحِجر:26]، فإنهم اختلفوا فيها على خلفيَّة اشتقاقها على قولين: الأول (صلصالٍ) بمعنى يابسٍ له صوت، والآخر (صلصالٍ) بمعنى مُنتِنٍ.

– أمَّا من قال (صلصال) بمعنى يابسٍ له صوتٌ؛ فإنَّه أخذَه من (الصَّلصلة)؛ وهي صوتُ الشَّيءِ الصُّلبِ إذا نُقِرَ. والصلصال هو: طين يابس يُصَلْصِل أي يصوت من يُبسه ما لم يُطبخ، فإذا مسَّته نارٌ فهو الفَخَّار[1]. قال ابن عُزيزٍ رحمه الله (ت:330هـ): «صلصال: طين يَابِس لم يطْبخ، إذا نقرته صل، أَي صَوت من يبسه، كَمَا يصوت الفخار»[2].

وممَّا ذكره ابنُ جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ) في هذا: أنَّه لما خُلِقَ آدمُ عليه السلام من طينٍ لازب؛ «مكث أربعين ليلة جسدًا ملقًى، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيُصَلصِل، أي فيُصَوِّتُ، قال: فهو قول الله: (مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ)[سورة الرحمن:14]. يقول: كالشيء المنفوخ الذي ليس بمُصْمت، قال: ثم يَدخل في فيه ويخرج من دُبُره، ويدخل من دُبُره ويخرج من فيه، ثم يقول: لست شيئًا للصّلصَلة، ولشيء ما خُلقت! لئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنك، ولئن سُلِّطتَ عليَّ لأعصِيَنَّك»[3].

– وأمَّا مَنْ قال (صلصالٍ) بمعنى مُنتنٍ؛ فإنَّه رأى أنَّه من (صَلَّ اللَّحمُ وأَصَلَّ) إذا أنتن. قال ابنُ عُزَيزٍ رحمه الله (ت:330هـ): «وَيُقَال: الصلصال: المنتن، مَأْخُوذ من صَلَّ اللَّحْم وأصلَّ؛ إذا أنتن»[4]. ومن طريفِ ما احتجَّ به ابنُ قتيبة رحمه الله (ت:276هـ) لهذا المعنى؛ أنَّه «قد قرئ: (أَئِذَا صَلَلْنَا فِي الأَرْضِ)[السجدة:10]، أي: أنْتَنَّا»[5]. كما نقل الثَّعلبيُّ رحمه الله (ت:427هـ) في تفسيرها، «عن مجاهد قال: هو الطين المنتن، واختاره الكسائي وقال: هو من قول العرب: صَلَّ اللَّحمُ وأصَلَّ؛ إذا أنتن»[6].

ووَاضِحٌ بأدنى نظَرٍ، أنَّ معنى الآية لا يختلفُ اختلافًا كثيرًا، سواءٌ جعلنا كلمة (صلصال) مُشتقَّةً من (الصَّلصلة) والصَّوت، أم من (الصَّلِّ) والإنتان.

---

[1] يُنظر: ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص437.

[2] ابن عُزيز السجستاني، غريب القرآن، ص306.

[3] ابن جرير، جامع البيان، ج1، ص456.

[4] ابن عُزيز السجستاني، غريب القرآن، ص306.

[5] ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص437. وقال القرطبيُّ رحمه الله (ت:671هـ): «وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ وَالْحَسَنُ: (صَلَلْنَا) بِالصَّادِ، أَيْ أَنْتَنَّا. وَهِيَ قِرَاءَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ». الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص92.

[6] الثعلبي، الكشف والبيان، ج5، ص339.

5- كلمة (**مسنُونٍ**) من قول الله ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**﴾[الحِجر:26]، أُختُلِف فيها على ثلاثة أقوالٍ: (مسنون) بمعنى مصبوب، و(مسنون) بمعنى مُصَوَّر، و(مسنون) بمعنى متغيِّر. قال ابنُ جريرٍ رحمه الله (ت:310هـ): « واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله (مَسْنُونٍ) فكان بعض نحويِّي البصريين يقول: عني به: حمأ مصورّ تامّ. وذُكر عن العرب أنهم قالوا: سُنّ على مثال سُنَّة الوجه: أي صورته. قال: وكأن سُنة الشيء من ذلك: أي مثالَه الذي وُضع عليه. قال: وليس من الآسن المتغير، لأنه من سَنَن مضاعف.

وقال آخر منهم: هو الحَمَأ المصبوب. قال: والمصبوب: المسنون، وهو من قولهم: سَنَنْت الماء على الوجه وغيره إذا صببته.

وكان بعض أهل الكوفة يقول: هو المتغير، قال: كأنه أخذ من سَنَنْت الحَجَر على الحجر، وذلك أن يحكّ أحدهما بالآخر، يقال منه: سننته أسنُه سَنًّا فهو مسنون. قال: ويقال للذي يخرج من بينهما: سَنِين، ويكون ذلك مُنْتنا. وقال: منه سُمِّيَ المِسَنّ لأن الحديد يُسَنُّ عليه»[1].

– أمَّا من قال: (مسنون) بمعنى مصبوب؛ فقد أخذه من (سنَّ) الماء على وجهه؛ أي صبَّه صبًّا سهلاً رفيقًا، ومقابله (شَنَّ) أي فرَّقه[2].

– وأمَّا من قال: (مسنون) بمعنى مُصَوَّرٍ؛ فقد جعله من (سُنَّة الوجه) وهي صُورته[3]. نقل ذلك الثعلبيُّ عن سيبويه رحمهما الله[4].

– وأمَّا من قال: (مسنون) بمعنى متغيِّرٍ؛ فقد أخذه من لفظ (سنة)، والمعنى متغيرٍ بتطاول السنين، كما أن قوله تعالى: (لَمْ يَتَسَنَّهْ) معناه لم يتغيرْ بمرِّ السنين عليه[5].

وهذه المعاني جميعُها ممَّا يُمكن حملُ اللَّفظ عليها، ولا يتعارضُ معنى الآية على ذلك ولا يفسُد.

---

[1] ابن جرير، جامع البيان، ج17، ص97.

[2] يُنظر: ابن عُزَيز، غريب القرآن، ص419. و: السمرقندي، بحر العلوم، ج2، ص254.

[3] يُنظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ج12، ص212.

[4] يُنظر: الثعلبي، الكشف والبيان، ج5، ص339.

[5] يُنظر: ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، ص94-95.